

أبغض الحلال.. لماذا؟

جاء الرجل من أقصى القرية يسعى.. شاكيًا باكيًا.. لأنه تسرع واتخذ قرار طلاق لم تتوافر دواعيه.. وقلت له:
إن زوجتك لم ترتكب الفاحشة.. ولكنها الكلمة الطائشة.. جرت على لسانها.. فلم تستوعبها.. وكأن وزنك بين الرجال هو وزن هذه الكلمة العابرة.. الفائرة.. لأن الأمر كما يقولون:
الرجل يساوي الشيء الذي يغضبه!
وكلما كان الماء في الإناء قليلًا.. كان أسرع إلى الغليان.. وهكذا أنت:

لقد كان نصيبك من التعقل قليلًا.. ففعلت فعلتك التي فعلت.. ثم صرت من النادمين. وأنا أعرف أن زوجتك «بيضة مكنونة».. لكنك لما لم تستطع أن تضعها في مكانها برفق.. فضلت الأسهل.. فكسرتها.. فخسرتها!!



ولكن.. يجب أن تعلم أن قرار الطلاق شرر متطاير.. واسع.. بعيد الأثر.. وأنت أول المتضررين.. وإذا كنت في لحظة الغضب تحاول أن تداري عيوبك بعيوب غيرك.. فاعلم أنك عندما تحاول أن ترمي غيرك بالوحد.. فلا تنس أن يدك سوف ينالها كفل من هذا الوحد أولاً!



إن ضرر الطلاق عائد على كل أطراف القضية:

الزوج . . والزوجة . . والذرية . . والمجتمع :
لقد صرت بهذا الطلاق حديثاً مسلماً لجيرانك في البيت . . وزملائك
في العمل . .

وفي اللحظة التي تحاول فيها الدفاع عن نفسك . . فسوف لا يفتنع
الرفاق بقولك . . لأنك تلج في إثبات أن مطلقتك لم تكن مثالية . . في
الوقت الذي لم تكن أنت فيه مثالياً !!
وفاتك أن تتأمل قول العقلاء :

(فإن كرهتموهن . لدماة أو سوء خلق . من غير فاحشة أو نشوز .
فهذا يندب فيه الاحتمال .

. فعسى أن يئول الأمر إلى أن يرزق الله منها أولاداً صالحين).

يقول (عز وجل):

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا

كثيراً﴾ [النساء: ١٩].

والآية الكريمة تصون الحقوق . . وتدرأ المفاسد . . وتحذر من التسرع في
هدم المعبد على رءوس من فيه . . ثم تحدد الآية الكريمة مسئولية الزوج في :
أ - الإنصاف في المبيت . وفي النفقة .

ب - ثم الإجمال في القول .

فإن آثرتم الفراق . . حيث تعذر الوفاق . .

إذا لم يتسع قلبك لزوجتك . . فليتسع لها عقلك . . وأمسك عليك
زوجك واتق الله!

﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

عسى الله أن يرزقك الله منها الولد الذي به تنبعث عاطفة الحب

الغائبة، أو المغيبة!

ولعل صبرك أن يدخر لك عند الله ثواباً عظيماً.. وتأمل الآية مرة ثانية.. فإنها تقول لك:

إن ما تكرهه من زوجتك.. عسى أن يكون هو بالذات خيراً لك.. والخيرة فيما اختاره الله (تعالى) لنا.. لا فيما نختاره لأنفسنا..

وقد تملك من الجمال قدراً ضئيلاً.. لكن ضالة النسبة قد تكون خيراً لك ولزوجك.. إذا ما أصححت السمع إلى تلك المعارك الدائرة بين جارك وزوجته الصارخة الجمال.. والتي تفجرها الغيرة تفجيراً.. لقد أعفاك الله من آصارها!

وكان عليك أن تصبر.. ثم تصطبر عليها.. فالدواء قد ينبعث يوماً من مكمّن الداء!



أما أضرار الطلاق على زوجتك

فإن الواقع يقول لك:

إذا احتميت أنت برجولتك.. وبالقدره على الدفاع عن نفسك.. فإن الزوجة دائماً في الموقف الضعيف:

فسوف تتحرك الألسنة متسائلة:

لماذا طلقها؟

وسوف تعدد الاجتهادات.. التي تنتهي إلى ما ينسجم مع طبيعة

الفضولين وهو:

ما طلقها إلا لريبة فيها...

ويكفي ذلك.. ليكون مانعاً من الإقبال عليها لا ستئناف حياة جديدة

مع زوج آخر.. في الوقت الذي تستطيع أنت أن تبني عشتًا جديدًا!



وأما بالنسبة للمجتمع:

فسوف يحدث خلل في بنائه.. بسبب من هذا النشاط في اللحن المتناسق:

بسبب رجل لم يكن حريصًا في الاختيار.. ولم يكن أحرص في حال التغيير.. فواجه بالتسرع سوء المصير.



أما الأولاد:

فسوف لا يغفرون لأبيهم نزوته الطارئة.. والطامحة إلى حبيب جديد.. وفي الوقت الرديء.. ثم ضن عليهم.. فلم يتنازل عن وهم المتعة التي يرجو.. وأثر أن يفتت الشمل الجميع!



ألا إن مشكلة الزوجين قد تنتهي بالطلاق.. ولكن المشكلة الكبرى هي الأولاد الذين قد يكونون ذكورًا.. وهذه هي الخسارة..

وقد يكن إناثًا.. وذلك هو الخسران المبين.



الزوجة والعودة إلى العش المهجور

حاول المغرضون أن يتخذوا من تشريع الطلاق هدفاً لهم:
 فزادوا في الكلام عنه وعادوا.. زاعمين أنه سلاح ضد المرأة في يد
 زوج يفضل حل الخلافات الزوجية بأسلوب المصارعة اليابانية!
 ولقد كان لهذه الحملة الظالمة آثارها حتى سمعنا من تقول:
 [إن الزوجة سمكة في بحيرة.. تعيش مع تمساح جائع!]
 إنه يدخل بيت الزوجية بإحساس رجل جائع يدخل مطعمًا:
 فيتعامل مع زوجته كالدجاجة المشوية:
 يتلذذ بها.. ثم يشبع.. وبعد ذلك يلقيها فضلات.. دون أدنى
 شعور منه بالامتنان «لقطعة اللحم هذه» والتي أمدته بالفيتامينات.. بل
 بالحياة!].



وعلى أرض الواقع مزدجر لهذه النزعة المتجنية.. والتي تريد أن تجعل
 من الشاذ قاعدة لا تناقش..
 وإلا.. فقد سمعنا وقرأنا عن أزواج أوفياء يقول أحدهم:
 ويبيت بين جوانحي حب لها لو كان تحت فراشها لأقلها
 ولعمرها: لو كان حبي فوقها يوماً وقد ضحيت.. إذن لأظلمها!
 إن عشرة العمر الطويلة.. لم تحفف نبع الود الذي يظل رصيده يتنامى
 مع الأيام!

ألا وإن الواقع المائل أصدق إنباءً من فلسفة واهمة.. تريد أن تجعل من المزاج الفردي حكماً.. لا معقب لحكمه.. ومن الأهمية بمكان أن نناقش المغرضين الحساب.. هؤلاء الذين يتهمون الإسلام صادرين عن حقد دفين..

نقول لهم:

إن الإسلام حين شرع الطلاق.. لا يهش له.. وإنما يشرعه وعلى مريض.. بعد استنفاد كل الطرق السلمية.. ليكون آخر الدواء الكي.. ثم إن هناك فترة متطاولة.. هي مدة الرجعة التي يلزم بها الطرفان.. فلعل العقل أن يصحو خلالها.. حتى تعود المياة إلى مجاريها.. أي أنه لا ينتهز الفرصة ليحكم بالفراق الأبدي منذ اللحظة الأولى.. ولكنه يراقب.. ويتابع.. فلعل الود القديم أن ينبعث من جديد..

ثم إن الزوجة لا تخرج من العش طائراً مقصوص الجناح.. ولكنها تخرج مرفوعة الرأس.. مرشحة لاستئناف الحياة مع زوج جديد.. بنفس القدر الذي أتيح لمطلقها..

يقول صاحب المنار:

(إن في الطلاق غضاظة وإيهاماً بأن الزوج ما طلقها إلا وقد رابه شيء منها..

فإذا هو متعها متاعاً حسناً.. تزول هذه الغضاظة..

ويكون هذا المتاع الحسن بمنزلة الشهادة بنزاهتها..

والاعتراف بأن الطلاق كان من قبله.. لعذر يختص به هو.. وليس

من قبلها..

لأن الله قد أمرنا أن نحافظ على الأعراض بقدر الطاقة، فجعل هذا

التمتع كالمرهم لجرح القلب).



أما كون الطلاق بيد الرجل .. فهو إجراء لمصلحة الطرفين على سواء :
١ - فالرجل يحكم العقل .. الذي يفر به من التهور .. فلا يقع فريسة
في قبضة الهوى .

٢ - ثم إنه المسئول عن السكن والنفقة لكي يجدد الفراش لو تم
الطلاق .

وقد لا يكون ذلك متاحًا له .. فلعله أن يرتدع .. وقلم أظفار الشهوة
التي تقض مضجعه .

ثم إن السنة تأمره بالألا يطلق إلا في طهر لم يجامعها فيه .. مما يحمله
على إرجاء الطلاق .. وربما خفت حدة التوتر في قلبه .. فراجع حساب
ربحه وخسارته ..



وفي زمن «العدة» المتداول يمكن للزوجة أن تستأنف جهادها في
محاولة لرأب الصدع .. على الأقل من أجل صغار زغب الحواصل :

إن ضمتهم إليه .. ضاعوا ..

وإن ضمتهم إليها .. جاعوا ...

إن المعركة اليوم سلمية .. لا تحتاج إلى عقول مشتعلة .. بقدر حاجتها
إلى قلوب دافئة :

وعندما احتدم النقاش بين الزوجين .. كان هناك غبار مانع من رؤية
الأشياء كما هي ..

أما اليوم .. وفي فترة «العدة» يمكن للزوجة أن تفعل شيئًا :

لقد مضى الغضب.. الذي انطفأ به نور العقل.. فكان الطلاق..
ونظلم أنفسنا حين نسمح لجمرة الحقد أن تتخلق فينا.. لنطفئ نور القلب!
إن علم النفس يقول:

كل زوج.. مهما كان موقعه في السلم الاجتماعي.. يستشعر
الزهو.. إذا سمع «مطلقة» بالذات.. تفخر به وتشيد بآثره..
فلتحاول الزوجة استغلال هذا الدافع الفطري.. وإذا كان الفعل الذي
أساء واحداً.. فهناك من أخلاقه.. ألف شفيع!



إن «المعتدة» تركب الزورق الذي يوشك أن يرحل.. وعليها أن
تصرف.. قبل أن تذهب الفرصة ولا تعود..



إن الإنسان لا يصعد الشجرة.. لمجرد أنه ينظر إليها.. ولكن.. لا بد
أن يدفع الثمن.. ليكون فوق الشجرة أو فوق المدفع!
إن الأصدقاء كانوا يتجولون في الأسواق لمجرد أن يسأل الصديق
صديقه: كيف حالك؟ ليكون جوابه: الحمد لله.. فيكون سبباً في زيادة
رصيده من الطيبات..

ثم كان الصديق - وهو يمر بأزمة مالية - لا يلح في الطلب حتى لا
يورط صديقه لم يلب حاجته.. وكم يكون حق الزوج هنا؟
إنه لأجدر بالزوجة أن تتحرك.. قبل أن يتحرك الزورق..
ليعود الشمل كما كان جميعاً.. وليكون في نفس الوقت أجمل هدية
إلى صغار يعيشون اليوم أجمل انتصار.



قد تذبل شجرة الود لكنها لا تموت

يقول الله (عز وجل)

﴿وَبَعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا...﴾ [البقرة: ٢٢٨].

هذا هو فارس الأحلام قادم.. يتطي صهوة جواد أبيض.. كما

تصورته البنت.. زمان!

ومع فارس الأحلام.. طاب الكلام.. وطاب المقام.

•••

ثم تبدأ المعاشرة بالمعروف.. والمعاشرة تعني الإحتكاك..

ومعنى الإحتكاك: أن تنطلق - كما يقول الأدباء - شرارة.. شرارة

تضيء.. وتحرق..

ثم تبدأ المشكلات.. مع غروب الشخصية الوردية لفارس الأحلام..

وفي أغلب الأحيان تكون المشكلات سهلة.. ميسورة الحل.. ولكن بعض

الناس لا يملكون من الشفافية ما يستعلون به على الواقع الطارئ.. ثم..

تجيء ساعة الصفر.. ويتفق الطرفان على.. على الطلاق!

•••

ولكن الإسلام المسموح.. يبقى على الباب مفتوحاً.. ليظل طريق

العودة لاحقاً..

فقد يكون هناك تحت الرماد.. وميض نار!.. لعل هناك في القلب

من الود القديم بقايا.. تؤكد أن ذلك الود.. وإن تجمد يوماً.. فإنه.. لا

يموت أبداً.

إن الإسلام متحيز للعلاقة القديمة أن تعود.. بل وأقوى مما كانت..
والإصلاح.. إصلاح العلاقة الأولى.. أولى من السراح!
الإبقاء على الزوج الأول.. أفضل من الاستفتاح مع زوج جديد..
ذلك بأن تذكر الماضي مع الزوج الجديد.. يفسد الحاضر..
طبق القاعدة القائلة: (تذكر الماضي.. يخل الحاضر)
ونستمتع الآن بما قاله صاحب المنار هنا..
(هذا لطف كبير من الله (سبحانه وتعالى). وحرص من الشارع على
بقاء العصمة الأولى.

فإن المرأة إذا طلقت لأمر من الأمور.. فقلما يرغب فيها الرجال. وأما
زوجها المطلق.. فقد يندم على طلاقها. ويرى أن ما طلقها لأجله لا
يقتضي مفارقتها دائماً. فيرغب في مراجعتها.
ولاسيما إذا كانت العشرة السابقة بينهما جرت على طريقتها الفطرية:
فأفضى كل منهما إلى الآخر بسره. حتى عرف عجره وبجره. وتمكنت
الألفة بينهما.

وإذا كانا قد رزقا الولد.. فإن الندم على الطلاق يسرع إليها.
لأن الحرص الطبيعي على العناية بتربية الولد وكفالته بالاشتراك..
تغلب.. بعد زوال أثر المغاضبة العارضة على النفس. وقد يكون أقوى إذا
كان الأولاد إناثا.

لهذا.. حكم الله (تعالى) لطفاً منه بعباده.. بأن الزوج أحق بردها
في زمن العدة.

وفي هذا بيان حكمة أخرى للعدة - غير تبين الحمل أو براءة الرحم -
وهي: إمكان المراجعة.

نعلم بذلك أن تربص المطلقات بأنفسهن: فيه فائدة لهن. وفائدة لأزواجهن)



وقد كان توجه المستبصرين من الفقهاء ماضيًا على هذا السنن تأكيدًا للأمل الوطيد في العود الحميد.

وإذا كان الإمام مالك يقول عن زوج المعتدة:

(لا يدخل عليها إلا بإذن. ولا ينظر إليها إلا وعليها ثيابها. ولا ينظر إلى شعرها. ولا يبيت معها في بيت).. إذا قال الإمام مالك ذلك.. فإنما هو في الأساس صيانة للمرأة حتى لا تمتهن.. ثم هو لا يقطع خيط الوصال تمامًا.. حين يسمح له بمؤاكلتها إذا كان معها غيرها.



أما الإمام أبو حنيفة فقد وسع الدائرة حين أباح للمطلق أن ينظر إلى معتدته:

(فيجوز له أن يرى شيئًا من محاسنها. وأن تتزين له.. أو تتشوف).. وربما كانت هناك نظرة.. تهدي إلى الوجه نظرة!



ولكن.. لماذا كان الزوج أحق بالرجعة:

أولاً: لأنه «البعل» والبعل هو السيد المالك..

المالك أعصابه: المتحكم في جهازه العصبي.. أما «هن» فيتمنعن.. وهن الراغبات.. وقد تأخذ العزة بالإثم هذه المعتدة فتظلم نفسها.. وغيرها.. حين تنطلق ضد مصلحتها.. إرضاء لهواها عينها بينما في بعلها!

وهن . . بنص الحديث الشريف: «يكفرن العشير» . . تحسن إليهن
أعواما . . ثم يذهب الجحود بهذا الإحسان في لحظة من زمان!

•••

وثانياً: هو صاحب الأرض . . وحامي العرض:
والطلاق ابتداء . . حقه . . لا حقها: يقول المفسرون:
(لأن من عرف أن حقله غير مناسب للزراعة . . لا ينبغي أن يرغم
على الازدراع في حقل لا يناسب الزراعة .
ويوضح هذا المعنى:
أن آلة الازدراع بيد الرجل:
ولو أكره على المباشرة . . ما استطاع . فلا نسل . ويخرب العالم .
أما لو أكرهت . . لجاز ذلك).

•••

ومن حقوقه هنا:
(الاستغناء في المراجعة عن الولي . وعن رضاها . وعن تسمية المهر .
وعن الإشهاد على الرجعة . . على الصحيح) إنه الأحق بالرجعة . . بمعنى:
أنه إذا أراد الرجعة . . ورفضتها هي . . أخذ برأيه . . لا برأيها . .
والنتيجة في النهاية لصالح الطرفين معاً!

•••

لكن ذلك الحق غير مطلق . . وهو مقيد بإرادة الإصلاح:
فقد بيت الزوج نية العدوان:
بالانتقام منها . .
أو منعها من الزواج بآخر . . جاعلاً منها المعلقة المعذبة بهذا الوضع

المهين .. إرضاء لكبريائه المزيف ..

ألا فيعلم أن الله (تعالى) معها .. عليك .. وويل للذين يعرضون
أنفسهم لسهام الأقدار .. التي لا تخطئ الهدف أبداً:
إن لم يكن اليوم .. فغداً.
والحكمة تقول:
لا ترم سهماً ... لا تملك إزجاءه!



المطالبة في منطقة شبه الظل

يقول (عز وجل):

﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧].

لا تنتهي العلاقة الزوجية بالضربة القاضية! .. وإلا كان المطلق كما يقول الفلاحون الطيبون: «عدو.. ينتظر نائبة» بمعنى أنه يتربص بغيره المصائب.. فإذا سنحت الفرصة انتهزها كأنها بعض أمانيه!

•••

ولكن الإسلام.. ومن خلال هذه الآيات الكريمة.. يشير إلى إن للعلاقة جذوراً ضاربة في الأرض.. لا تقتلع هكذا وفي لحظة طارئة.. ومن أجل ذلك.. لا تكلف المطلقة بالخروج فور كلمة طلاق غير مأسوف عليها. من الظل الظليل.. إلى وهج الظهيرة.. وإنما تبقى.. في بيتها.. مكفولة الرزق.. موقورة الكرامة.. إعلاماً بأن الأمر ليس شركة تجارية تنفص في لحظة واحدة:

وإنما هي عزة الإنسان.. التي هي فوق انفعالاتنا.. ونزواتنا.. وعلى كل الأطراف المعنية أن تتوقف.. ثم تراجع نفسها فلعل الله (تعالى) أن يجعل.. بعد عسر يسرا..

وإذا توترت الأعصاب يوماً بوسوسة الشيطان المريد.. فلنفسح من بيوتنا وقلوبنا.. لرفاق الأمل.. فلعل الله يحدث بعد ذلك أمراً.

•••

وتوكيد لهذا المعنى: أُمِر المطلقون بالإبقاء على المطلقة في بيتها حتى تنتهي عدتها..

ولكي تظل في البيت مصونة.. يجب عليه أن ينفق عليها.. صيانة لها من التبذل في طلب لقمة العيش.. وفراراً بها من القيل والقال.. ولو أنها مشيت في الأسواق.. وما يثيره من شبهات.. وتقولات.. قد تسد طريق العودة إلى زوجها.. تارة أخرى.



ومضياً مع حكمة الإسلام في أنه: لا ضرر ولا ضرار.. فإن المطلق مأمور بهذا الإنفاق.. على قدر طاقته:
فلينفق ﴿... مِنْ سَعَتِهِ﴾:
على قدر إمكانياته المتاحة..

لا تسرق.. لتوفر لها لقمة العيش.. ولا ترهق نفسك بالعبور إلى ما وراء حدود مملكتك المتواضعة.. خارج «سعتك» فليس من الإنصاف أن نريح طرفاً على حساب غيره..
وإذ يحرص الإسلام على الترفق بالمطلق فليس ذلك انحيازاً له. وإنما كل ذلك مقصود به إتاحة فرصة العودة بمثل هذا التيسير الذي يتيح للنفوس فرصة المراجعة.. في جو نظيف.



ثم إن ما تؤمر بإتفاقه ليس مالك.. وإنما أنت حارس.. خازن أمين.. وصاحب المال (سبحانه) هو الذي يأمرك بالإتفاق من ماله (عز وجل)..

ثم هو (عز وجل) لا يأمرك بإلقائه في البحر.. أو تذريره في الجو

وإنما يتلطف بك لتنفقه على الصاحب بالجنب .. وفاء للعشرة ..



ومما يحملك على الإنفاق والتسامح فيه .. ما تعلمه من وقائع التاريخ
الشاهدة بذلك :

(فقد فتح الله عليكم جميع جزيرة العرب .. ثم فارس والروم :
أطحتم بهذه .. وأزلتم تلك .. ثم فزتم بكنوزها حتى صرتم أغنى
الناس ..)

وإذن .. فأنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا .. فغداً تكون
السعة .. بعد الضيق .. والغنى بعد الفقر ..
ومن صور السعة والغنى .. أن تعود إليك مطلقتك أسلس ما تكون
قياداً .. بعدما أوسعتك بالأمس عناداً .



وإذا كان الإنفاق على من لا تباشرها .. عطاء بلا ثمن .. فإنها فرصة
للتدريب على «السعة» النفسية .. قبل السعة المالية .. فليتسع صدرك ليتقبل
عودتها .. فلعل العود أن يكون حميداً سعيداً .



أما من قُدر عليه رزقه .. فضاق عن تغطية كل احتياجاتها .. فلا
تثريب عليه .. فقد تصرف في حدود استطاعته .. وما فوق ذلك يكون
تكليفاً بما لا يُقدر عليه .



ولاحظ من بلاغة الآية الكريمة :

أن الله (تعالى) - في حال تضيق الرزق - يبني الفعل للمجهول هكذا

﴿وَمَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ [الطلاق : ٧].

وفي حال العطاء.. يقول (عز وجل): ﴿قَلِيلٌ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ [الطلاق :

[٧].

إنه التلطف بالعبد وبخاطبه في ساعات الضيق: ففي حال العطاء.. يظهر الفاعل.. أما إذا كان الأمر مؤلماً للعبد فإنه (تعالى) لا يواجه عبده الضعيف.. بما يحزنه.. وإذا كان ذلك كذلك.. فليعامل المطلق الزوجة باللطف والإحسان.. ليكون عوناً لها على ريب الزمان.

•••

ومن تلطفه بها أن يعيد مراجعة الموقف كله.. ليخرج بالتأمل من الخيال الذي يعيشه.. إلى الواقع الذي يرفض أن يعيشه! وليحاول إقناع نفسه بأنه مسئول معها عن كل ما انتهى إليه نزاعهما.. وأنّ عليه أن يكون زوجاً ناجحاً.. قبل أن يطلب من غيره أن يكون كذلك.. وإذا كان يطلب الزوجة المثالية.. فهل هو مثالي؟ ونذكر هنا واحدة من تجارب غيرنا:

فقد تفرغ وزير العمل في دولة عربية لتربية طفليه بعد نجاح عشر سنوات في عمله.. وثقة رئيسه به.. وفضل في النهاية أن يكون زوجاً ناجحاً.. على أن يكون سياسياً لامعاً!

•••

ثم على الزوج إدراك طبيعة المرأة وجوهرها مما يعين على الوفاق بعد الفراق. بمزيد من مشاعر الإشفاق

هذه الطبيعة التي قال فيها النبي (ﷺ): «إن النساء خلقن من ضلع

أعوج وإن أعوج شيء في الضلع: أعلاه: فإن ذهبت تقيمه.. كسرتة.. وإن تركته.. لم يزل أعوج.. فاستمتعوا بهن على عوجهن».



وكما ظفرت بها أولاً.. فاظفر بها اليوم.. وهي بين يديك.. وقبل أن يظفر بها غيرك.. بعدما تذهب الفرصة.. ثم لا تعود.



أما بعد: فقد زعم بعض المستشرقين أن الطلاق.. طرد للزوجة.. خارج البيت، ولكنه في الحقيقة إنهاء لعقد الزوجية. ثم لا يتم إلا بعد محاولات ومداوات تستنفد كل وسائل الإصلاح.. فإن لم يكن صلاح.. فلا جناح.



الزوجة ... ومبادرة الصلح

يقول الله (عز وجل):

﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ...﴾ [الطلاق: ٧].

بعد أن أرسلت الزوجة إلى زوجها «قصيدة» أفرغت فيها كل أمانيتها.
عاد الطير المهاجر.. عاد الزوج إلى بيته مستجيباً لنداء الزوجة التي
وصلت رسالتها العاتبة الغاضبة إلى سويداء قلبه: هذا القلب الذي تفجر
نهرًا بعد أن كان حجرًا!

وقد حدث بعد نشر قصيدتها أو رسالتها أن هبت عاصفة من قبل
بعض النساء اللاتي انحزن لها.

والحمد لله أن هبوب العاصفة كان.. بعد أن عاد الزوج فعلاً إلى
البيت.. فلربما كان حدث ما لم تحمد عقباه.. لو هبت العاصفة قبل أن
يتخذ الزوج قرار العود الحميد.. عنادًا وتحديًا..



ومن تدبير الله (تعالى) أن وقفت الزوجة العاتبة نفسها تشكر الزميلات
المجاملات الغاضبات.. راجية إغلاق ملف القضية. فقد عادت المياة إلى
مجاريتها.. وهذا ما قالته شعراً أيضاً:

فتيات مصر تحية

إني أدين بعطفكن

أنتن ربّات العـزائم

وشكركن عليّ لازم

ثم عززت ذلك بقولها :
يا سيداتي الفضليات: لَكُنَّ حقَّ الشكر .. دائم
قد عاد لي زوجي الكريم .. وجاء يقرع سنَّ نادم
من بعدما قدَّرت أن رجوعه أضغاث حالم
والحرُّ يرجع .. حين يعلم أنه في الحق آثم.



وقلت لصديقي تعليقاً على إعلانها رجوع زوجها .. إنها هي التي
رجعت إليه باستعطافها له .. فكانت صاحبة مبادرة الصلح ولا يضيرها أن
كانت البادئة بالكلام .. فخيرهما الذي يبدأ بالسلام .. فإذا كان المبدوء هو
الزوج .. فأنعم بها مبادرة للسلام.
لقد وضَّحت الزوجة هنا أبعاد معنى المودة في قوله (تعالى): ﴿وجعل
بينكم مودةً ورحمةً﴾ [الروم: ٢١].

وعلاقة المودة بين الزوجين تتميز عن غيرها من العلاقات: فهي باقية ما
بقي الرجل رجلاً .. وبقيت الأنثى أنثى .. كما يقول العارفون المجربون.
فظالما بقي إحساس الزوجة بأنوثتها وضعفها قائماً .. فإن جسور
التفاهم تظل قائمة على أصولها .. ليعود الصفاء من فوقها إلى قلوب
المختلفين.

أما لو ترجَّلت الأنثى .. متمردة على طبيعتها .. فإن هذا الود سوف
يخرج .. ثم لا يعود .. وكيف يعود في الوقت الذي يركب كل طرف رأسه
زاعماً أن الكل سواء .. وما يخدش الكرامة أن نبداً أحباءنا بالكلام!



إن هذا الود قد «جعله» الله (تعالى) .. وما جعله (سبحانه) لا يغيب

وقد تسألني: لكنه قد يذهب بالطلاق؟

وأقول لك:

إنه لم يذهب بالطلاق. لأن الطلاق هو الضربة الأخيرة التي سقط بها القصر المُنيف.. ولكن الضربات قبلها مسئولة عن انهيار البنيان الشاهق من علي.

ومن هذه الضربات السابقة تجاوزات الزوجين على مدار الأيام: والتي تراكمت حتى صارت من «قشٍّ وطنين» ثم صارت عبرة للمعتبرين! إن «الود» رزق من الله. وعطاء غير مجذوذ.

وإذا كان رزقنا المادي حاضراً مصوناً.. وفي السماء.. حتى «ندب» لنصل بالديب إليه.. فكذلك «الود».. وهو رزقنا المعنوي.. حاضراً.. مصوناً.. لكننا نتصرف مصرين أن نخفي بتجاوزاتنا عكس الاتجاه؟! فكيف نحصل على مودتنا.. على رزقنا.. ونحن بالعناد نسحب رصيدنا منه وبلا إيداعات جديدة تنميّه وتزكيه؟^(١)



لقد أحسّت الزوجة الشاعرة أن رفيقها الغاضب.. قد أخذته العزة بالإثم.. والحكمة تقول: إذا عز أخوك.. فهن.. واستعطاف الزوجة ليس هواناً..

فقد يكون وليد دراسة ميدانية.. ظهر بها أن الزوج يُفضل الأوهام تناوشه.. على الواقع المُعاش فعلاً.. فقررت ألا يفلت الصيد من بين

(١) قد لا تكون «فصيلة الدم» متوافقة مع سلامتها في ذاتها.. فالدم صالح.. فالود

موجود.. لكن «الفصيلة» في الإثنين سالبة.. أو موجبة.. ومن الإبقاء على الود أن

يتفرقا ليغني الله كلا من سعته بمن يشاكلة!؟

يديها . . فصبت كل أشجانها على الورق شعراً . . ردهً سالماً من سكرة الأوهام . .

وقد يسعفها الواقع المائل بما يفرض عليها أن تبدأ بالكلام:
فلقد يكون «عجوزاً» إلا أنه مغرم بالفتاة الصغيرة زاعماً أنه بها ومعها
يسترجع شبابه الغارب . . وهكذا . . كلما «هرمت الأسنان» يَطْلُب الأمر
صغار الحملان!!

•••

ولقد أدركت عَوَجَ الحاضر وخطورة المستقبل حيث النار تندلع . . والماء
ينقطع . ثم راجعت نفسها التي وجدتها :
دجاج: - مع الفارق طبعاً -

وللدجاجة جناحان . . ولكنها لا تستطيع الطيران إلا في مجال الأسرة
الجوي! . . وتحت سقف البيت . . وفي ظل رجل تطارحه الهوى . هو زوجها
الحلال .

وإذن . . فالشجاعة الأدبية تفرض عليها أن تفعل ما تظنه الزميلات
خطأ . . وكانت بمبادرة الصلح مُبرأة من الملام . . مُرَشَّحة بوفائها لتصنع
الوئام بديلاً للخصام .

لقد كانت كما قال الأدباء:

(لا أحد يحاسب صحراء العطش . إذا توحّمت على قطرة من الماء . .
ولا أحد يحاسب جائعاً . . يحلم بسوق الخبز).
لا أحد يحاسب زوجة سوية ذكية تفرد شراعتها في الاتجاه الصحيح . .
غير مصغية إلى غضب الغاضبين العاذلين . .

فمن كانت يده في النار . . ليس كمن كانت يده في الماء!

والأطفال: لمبتهجون اليوم: هم أطفالها هي ..
والزوج العائد العائد هو زوجها هي ..
والنار لا تحرق إلا من أمسك بها ..
وقد أحرقتها هي وحدها .. نارُ العزلة والاعتراب .. فقررت بالعفو أن
تضع حداً لهذا العذاب .



فليحذر الذين يخالضون عن أمر الله

يقول الله (عز وجل):

﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا ۖ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝﴾ [الطلاق : ٨ ، ٩] .

تصوروا داراً غائبة هناك في شعاب الوادي . . رزقها يأتيها . . يأتيها رغداً من كل مكان وفجأة قرر سيد البيت أن «يغير الفراش» في الوقت الذي كانت فيه ربة هذا البيت على غاية ما تكون من الوفاء والولاء . .

ومع أنها دار بين ملايين الدور . . ومع أنه زوج من ملايين الأزواج . . إلا أن هذه الدار وإن لم يرها أحد . . وأن أنين الزوجة . . وإن لم يسمعه أحد . . فإن عرش الرحمن ليهتز رحمة بهذه الزوجة التي قرر زوجها أن ينقض غزل البيت من بعد قوة أنكائها . . وتنزل الآي تترى مهددة متوعدة . . فيما يشبه بلغة العصر إعلان حالة الطوارئ القصوى .

من أجل بيت واحد من بيوت المسلمين . . تظلم فيه زوجة مكسورة الجناح: جبراً لخطرها . . وكسراً لغرور زوج يحاول من موقع رجولته أن ينقض على الفريسة وبلا مقاومة!

وكأنما تدمغة الآية الكريمة بهذه الحقيقة:

إذا دعتك قدرتك إلى ظلم الناس . . فتذكر قدرة الله عليك .

لا . . بل قدرة الله على القرى العاتية كلها . والتي أعرضت عن أمر ربها ورسله . . فدمرها الله (عز وجل) . . فكانت أثراً . . بعد أن كانت عيناً . .

يقول صاحب الظلال:

(ونقف لحظة أمام التحذير:

فترى أن الله أخذ القرئ: واحدة بعد واحدة. كلما عتت عن أمر ربها
ورسله.

ونجد أن هذا التحذير يساق هنا بمناسبة الطلاق وأحكامه. فيرتبط
الطلاق وحكمه بهذه السنة الكلية. ويوحى هذا الارتباط أن أمر الطلاق ليس
أمر أسير أو أزواج. وإنما هو أمر الأمة المسلمة كلها:

فهي المسؤولة عن هذا الأمر. وهي المسؤولة عن شريعة الله:

ومخالفتها عن أمر الله فيه. . أو مخالفتها عن أمر الله في غيره من
أحكام هذا النظام. . أو هذا المنهج المتكامل للحياة - هي: عتو عن أمر
الله. . لا يؤاخذ به الأفراد الذين يرتكبونه.

إنما تؤاخذ به القرية أو الأمة التي تقع فيها المخالفة. والتي تنجرف في
تنظيم حياتها عن منهج الله وأمره.

فقد جاء هذا الدين ليطاع. ولينفذ كله. وليهيمن على الحياة كلها. .
فمن عتا عن أمر الله فيه - ولو كان هذا في أحوال الأفراد الشخصية - فقد
تعرض لما تعرضت له القرئ من سنة الله التي لا تتخلف أبداً.

تلك القرئ التي ذقت وبال أمرها. وكان عاقبة أمرها خسراً) أ. هـ .

ولكن هذا التهديد الرعيب يأتي في أوانه: بعد سلسلة من الترغيب.

تودد بها الرحمن (سبحانه وتعالى) إلى عباده الخاطئين. .

على أن الوعيد نوع من التحذير ببيان ما مضى من العقوبات
والمثلات. . والجمع بين الوعد والوعيد أسلوب يأخذ بالقلوب. . أملاً في
تحقق الوعد وحذر تنفيذ الوعيد. . ليجيء تصرف المدعوين جاداً. .

ومجدياً . .



لقد فصلَ الله (عز وجل) أحكام الأسرة تفصيلاً . . ثم هو (سبحانه) يحذر المؤمنين حتى لا يقعوا في مهوَا الضلال :

فكم من قرئ كثيرة . . وقوية . . عتت . . وتمردت على أمر الله . . على وجه التكبر . .

كم من قرية ظالمة ومن ظلمها أنها لم تكتف بالغرور . . إعراضاً عن أمر الله . . ولكنها اتخذت خطوة عملية . . فكانت معارضة . . بعد أن كانت مُعرضة !

وذلك مفهوم من التضمين هنا :

فقد عتت عن أمر ربها : بمعنى أعرضت . .

ثم إنه الإعراض المنتهي بالمعارضة وهو معنى العتوّ . .



وهذا الغرور النظري «العملي» هل له ما يسوغه :

إنها لم تكن عاتية عن أمرٍ قاهرٍ لها أو ظالم . . بل تمردت على أمر من ربها (سبحانه وتعالى) . . والذي تتقلب في نعمه (عز وجل) :

وبينما خيرَه (تعالى) نازل . . إذا سخطهم إليه سبحانه طالع ! ثم كان من تمام تمردهم أن كذبوا رسله (تعالى) والذين كانوا واسطة هذه النعم . . فكان أن دمرَ الله عليهم . . ولم تغن عنهم قوتهم ولا كثرتهم شيئاً .



وفي ضوء هذا النذير المدمدم . . لا تبرح خيالنا صورة هذا الظالم الذي يتخذ من الطلاق هوايةً يشبّح بها نزعة التشفي ! . . فليكن على حذر أن

يصيبه مثل ما أصابها!

وإذا كانوا يقولون ساخرين: لسعادة الزوجين فالمطلوب هو زوج لا يسمع .. وزوجة لا ترى .. فإننا في ضوء الآية الكريمة في حاجة إلى زوجة .. وإلى زوج .. يسمع هذه النذر .. ويتصور هذه الفواجع .. حتى يتعظ .. قبل أن يكون هو للناس من حوله عبرة وموعظة!

ومما يعينه على الاتعاظ .. ومراجعة الحساب .. ما في الآية من عناصر الردع .. لمن أراد أن يتذكر:

إن القرى الظالمة دمرها الله (تعالى):

وتخيل ناطحات السحاب ، والحصون .. وكل ما أبدع البشر من فنون الحماية والوقاية .. كيف تصير .. وبالضربة القاضية رماداً .. وعلى هذا الزوج المفتون بحاله ورجاله أن يتصور نفسه واحداً من أهل هذه القرية .. وكيف يطير هباء لا أترى بالعين المجردة .. في أتون هذا الخطر الداهم .. والذي يدمر ما في لقرية ومن فيها ..

...

إنه الحساب العسير: لا بالكلام .. وإنما بالزلازل .. والبراكين وآفات الزرع .. وتحطيم ما صنعت يد الإنسان من عابرات القارات! وسوف يكون حساب الزوج الظالم عسيراً شديداً: ومن مظاهر شدته:

أولاً: باستقصاء كل ما عملوا .. حتى النقيير والقطمير ..

وثانياً: بالمجازاة على كل فعل بما يليق به .. ثم يكون العذاب نُكراً:

ينكرونه مندهشين: فلم يروا من قبل مثله .. ولا قريباً منه .. وإذا القرية تذوق وبال أمرها .. الذي صار مرعى وخيماً ذميماً:

مرعى: يمرض .. ولا يشبع

ثم كانت العاقبة على غير ما يشتهي الطغاة:
 لقد ظنوا في الدنيا أنهم كسبوا بإعراضهم .. ثم فوجئوا يوم الحساب:
 بأنهم ما جنوا إلا الخسر .. نفس الخسر الذي لا ربح فيه أبداً:
 وأينما يولون وجوههم فثم الخسران المبين بين أيديهم .. جزاءً وفاً:
 ومن زرع الشوك لا يجني الورد ..
 ومن طلق بلا سبب .. فليأخذ مكانه في هذا الطابور الطويل ..
 الويل.



الذين يقتلون القتيل ثم يمشون في جنازته

يقول الله (عز وجل):

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ [الطلاق: ١٠، ١١].

قد يحسب الزوج المغرور أنه «على شيء»

ومن هذا الشيء الذي يشد من أزره:

أنه «رجل» وفي استطاعته أن يتزوج الآن مشنًى وثلاث ورباع!

وقد يقف «القزم» الضئيل على كومة من المال. فيبدو أطول من هذه

التي تبكي على حالها ومآلها؟

ولكن فرحته المغشوشة لا تتم إذا أنصت إلى النذر تهز كيانه.. من

خلال الآية الكريمة:

إن لك عذاباً: مُعَدًّا.. جاهزاً.. وهو في انتظارك هناك..

(وما هو كائن.. فكان قد!) وعليك أن تتقرب... هذا العذاب من

الآن..

وحين يقول (عز وجل) في الآية السابقة:

حاسبناها.. وعذبناها.. بصيغة الماضي.. فإن ذلك يعني:

أنها حُوسبت فعلاً.. وأن عذابها قد نزل وفُرغ منه..

وأنت كذلك محاسب.. معذب من الآن.. وعهدنا بالظالم أن يكون

متمزقاً.. خائفاً خوفاً يفقده الإحساس بطعم الحياة..

بينما إحساس المظلوم يصبح مريحاً.. اتكالا على الله المنتقم الجبار.

ويجيء الأمر بالتقوى.. يتجه اتجاهًا أوليًا إلى هذا الزوج الذي افترى.. والذي يعود من سوق الحياة كأنما لا باع ولا اشتري!

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

إن لكم من موانع الانحراف والإجحاف ما يلي:

أولاً: فأنتم أصحاب الألباب.. أصحاب العقول..

ومن شأن الألباب أن تمنع من السقوط في مهاوي الظلم.. ثم إنكم

مؤمنون:

وبعهد الإيمان أنتم مأمورون بالعدل في معاملتكم مع: رفاق الأُمس

وأحبائه..

إلى جانب أنكم تعملون الصالحات.. فاعملوا صالحاً..

وفي مقدمة ما تعملون: «إنصاف من كنتم تحبون» وإلا فإن عملاً ظالماً

واحداً.. قد يكون نقطة الخل التي تفسد كل ما تعملون وما تدعون!

•••

ومما يحملكُم على الإنصاف أن الله (تعالى) قد أنزل إليكم: إليكم

بالبات أنزل رسولاً.. ذكرنا.. نفس القرآن الذي كان خلقه.. فتمت النعمة

بسته.. وسيرته (ﷺ).. ثم بتلاوة كتابه..

وإذا كان الإنسان يتلقى خطاب القائد بالاعتزاز.. فكيف إذا كانت

الرسالة من الملك.. فكيف إذا كانت من ملك الملوك (سبحانه وتعالى)..

ولاحظوا: أنه ذكر: شرف لكم..

شرف: ترتفعون إلى مستواه.. لا لمجرد التباهي به..

يقول صاحب التحرير:

(وفي نداء المؤمنين بوصف «أولي الألباب»:

إيماء إلى أن العقول الراجحة تدعوا إلى تقوى الله: لأنها كمال
نفساني .

ولأن فوائدها حقيقية ودائمة .

ولأن بها اجتناب المضار في الدنيا والآخرة .

قال (تعالى) ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا
يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ ، ٦٣] .



ومن ثمرات الذكر أنه:

(. . يخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور:

من ظلمة الكفر . . إلى نور الإيمان

ومن ظلمة الشبهات . . إلى أنوار الحجة .

ومن ظلمة الجهل . . إلى نور المعرفة .

ومن ظلمة الباطل . . إلى نور الحق .

هذا في الدنيا . . وأما في الآخرة:

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ [الطلاق: ١١] .

وهو رزق واسع واسع . . عظيم عظيم . . عجيب عجيب . .

قال القشيري:

«الرزق الحسن: ما كان على حد الكفاية . .

لا نقصان فيه يتعطل عن أموره بسببه .

ولا زيادة تشغله عن الاستمتاع بما رُزق . . لحرصه .

وكذلك أرزاق القلوب:

أحسنها أن يكون له من الأحوال ما يستقل بها . . من غير نقصان .
ولا يتعذب بتعطشه .
ولا يكون زيادة . . فيكون على خطر من مغاليط لا يخرج منها إلا
بتأييد من الله سماوي .



ومضياً مع أخذ المؤمن إلى الحق بمشاعر الرهبة يقول (عز وجل):
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [الطلاق: ١٢].
ومن حكمة ما أشارت إليه الآية الكريمة:
﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:

[١٢]

يقول البقاعي:

(لتعلموا بهذا العلم الذي أوجده:
بتسوية كل واحد من القبيلين سبعاً:
كل واحدة: بينها وبين الأخرى مسافة بعيدة . . مع الكثافة الزائدة .
وأنتم تعلمون أنه لا يفصل الجسم - ولا سيما الكثيف - عن آخر مثله
إلا فاصل قاهر: بقوة قاهرة . وقدرة ظاهرة . . وعلم شامل لما يحتاج إليه
ذلك .

فكيف إذا كان هذا المنهاج البديع . والوجه المنيع . على مر الدهور
والأحقاب . وتعاقب الشهور والأعوام . . على حساب معلوم . ونظام منظم
لا يدركه إلا أعلم الناس حساباً . وأعظمهم صواباً .
(وسبحان) ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ
لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]

ليعلم كل الناس . . وبالذات من يحاولون هدم الأسرة القائمة . .

أما بعد

فقد كان الفلاح يقول:

فلان «رمى» على زوجته اليمين . .

يريد: لقد أمسك بيده حجراً . . فرماها به . . دَمَغَهَا: أصابها في

دماغها . . وقلتُ: ولا بأس أن يبكى وهو يفعل فعلته ... ويا للرجال بغير

دين:

قد يقتلون القتيل . . ثم يمشون في جنازته!!



الزوجة وانقاذ ما يمكن إنقاذه

١ - للزوج في عنق زوجته من الحقوق ما ليس للوالد ولا للأخ .
وما كان لبشر أن يسجد لبشر إلا لله (تعالى) . . ولكن . . لو فرض
وسجد لبشر لسجدت الزوجة لزوجها من عظم حقه عليها . . ومن حقوقه
لديها :

- ٢ - المحافظة على بيت زوجها الذي هو من كده وعرقه .
- ٣ - طاعة زوجها ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ ﴾ [النساء : ٣٤]
- ٤ - لا ترهقه بما لا تتحمله ميزانية البيت .
- مع العلم بأن إرهابه . . وبال عليها . . وعليه معاً فقد يسول له الكسب
الحرام . . وهذا ما أدركته الزوجة الصالحة والتي قالت لزوجها يوماً :
إياك وكسب الحرام . . فإننا نصبر على الجوع . . ولا نصبر على النار .
- ٥ - ألا تغادر البيت إلا بإذنه . . لتكون دائماً في شرف استقباله . .
وفراراً من الظنون في زمان يبعث على هذه الظنون : يقول (عز وجل) :
﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .
- ٦ - التفاني في خدمة البيت .
- ٧ - معرفة ميوله وما يُحب . . ولا بأس أن تتركب معه الموجة فتحب ما
يحبّه وبهذا تمتص من قلبه بعض أسباب النزاع .
- فإذا تأزمت الأمور . . وكان لا بد من الطلاق فلإسلام منهجه الرشيد
والذي وضحته سورة الطلاق .

أما بعد

فقد يحاول المغرضون . . افتعال مشكلات ليس لها وجود إلا في أدمغتهم . .

ونسوا أن الله (تعالى) حافظ كتابه . . ودينه . ولو كره المغرضون . .
ومما قالوه :

الإسلام يجعل من كلمة واحدة . . فصلاً للمرأة . . وردا عليهم :
يقول الشعراوي :

(كيف دخلتم على كلمة الفراق . . ونسيتم كلمة التلاق؟ :
إن التلاقي أيضاً يكون بكلمة وهي : زوجني . . وزوجتك .
فلماذا تستبعدون أن يكون الطلاق بكلمة طلقتك؟!
إنه يدخل الحلال بكلمة . .

وإلى الحرمة بكلمة !

ولذلك . . كان لا بد من الدقة في اختيار الزوج . . فراراً من يسيء
استغلال هذا السلاح الماضي في العدوان . . وعليها أيضاً أن تكون على غاية
الحذر!!

حذر . . الطرفين على سواء :

يقول الإسلام للرجل :

فاظفر بذات الدين تربت يداك .

ويقول لولي الفتاة : «إذا جاءكم من ترضون دينه فوزجوه. إلا تفعلوا

تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» .

فإذا تعذر الوفاق :

﴿فَامْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

ويبقى أن تقول مع المجريين:

(هل يتم الطلاق فعلاص بكلمة واحدة؟ أبداً!!)

فهناك فرصة.. وفرصة..

ثم الثالثة:

إنه يدقق.. تأديباً للرجل والمرأة على سواء. ولذلك لم يقل القرآن:

الطلاق كلمتان..

بل ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وأخيراً.. قد يكون الطلاق آخر الدواء..

وهو في موضعه رحمة بالطرفين.. حين تنتهي به.. حياة كلها

نكد.. بالجمود؟

ولكن الحل هو: ﴿فَإِمْسَاكِ بِمَعْرِوْفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة:

٢٢٩]. أ.هـ. بتصرف.

في مجال التطبيق:

ولقد كان هناك متقون يخافون ربهم ويفعلون ما يؤمرون.

ومنهم ذلك الصوفي.. الذي كان من قدره أن يتزوج من امرأة سيئة

الخلق.. فكان يصطبر على نشوزها.

فلما أشفق عليه أصدقاؤه اقترحوا عليه أن يطلقها.. فما كان جوابه إلا

أن قال:

(أخشى أن يتزوجها من لا يصبر عليها.. فيتأذى بها).



ولا تملك إلا الانبهار.. أمام الإيثار..

الإيثار الذي يسقط بين يديه منطق الفلاسفة الكبار.. والذين زعموا

فعل الخير أنانية مقنعة!

إن هذا الصوفي: بصفاء قلبه.. قد يكون فلاحاً لا يسمع عنه أحد..
ولكنه بعمله هذا يهز ضمير كل أحد أن يرتفع إلى مستوى الميثاق الغليظ:
بذلاً.. ومدداً.. وعطاء..

إنه لا يتحدث عن الوفاء شعاراً.. وإنما يقدمه شعوراً ملك عليه أقطار
نفسه فبرز في الواقع عملاً.. بعد أن كان في قلبه أملاً..



وهو يذكرنا بواحد من رواد مدرسة الإيثار.. والذي أدى فريضة
الحج.. ثم وهب ثوابها لمن لم تقبل حجته من أفراد المسلمين..
وليت شعري.. إن الزوجة.. وإن الزوج لأحق بهذا الإيثار.. الذي
هو شرعة الأخيار..

ومن لا خير فيه لرفيقه.. فلا خير فيه لأحد..
«وخيركم خيركم لأهله.. وأنا خيركم لأهلي».

